آفاق

« ملحق العدد 32 »

ملحق العدد 32 يوم الخميس 1 ربيع الأول 1443هـ الموافق 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2021م

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

لو أنك أحببتني كما كنتُ، للكاتبة: غادة محمد ريحاوي

كنتُ عندما ابتدئ بكتابة شيء ما، كان لابُد له أن يكون قد شَغَر مساحة من تفكيري لفترة ليست بقليلة، فأبحثُ عن منفذٍ لي بحيثُ يكون بإمكاني البوح والتخلص من كل هذا التفكير في داخلي وأعيش، كُنتُ أود الحديث عن شعوري اتجاه أيّ ما كان منها، مثل أغنية، عيناكَ، فلم، اسمُكَ، عنوان الشارع الذي التقينا بهِ أول مرة، بُخار كأس الشاي في الشتاء، وجه أبي مساء كل يوم حين يعود في الساعة التاسعة من العمل، عصا مدير المدرسة، الانتماء، حُب التملُّك، لماذا هذهِ دونًا عن الناس، فوجدتُ الكتابة خير منفذ ورُحتُ أُفرطُ في شعوري.

كان يجب على تلك السطور أن تكون محاكاة لشيء ما يحدث أو ربما حدث بالفعل، أو لعله سيحدث، كان ضرورياً أن يكون ذلك النص مبنيٌ على فكرة معينة، لم أود أن يكون خيالياً حيثُ العصافير تُزقزق، لم أكن أستطيع اختلاق شيء وهمي وأكتبه، أو أن أقوم بسرد قصص طويلة، أنا لستُ كاتبة محترفة إن صح القول.

حسناً! لم تكن محاولاتي البائسة في الكتابة طلباً لأُصبح كاتبة مشهورة أو أن يتابعني الآلاف من الناس، أو لأصنع كتاباً يحظى بإعجاب الكثيرين، حتى أنني لم أنتظر الثناء من أحد، على كلمة واحدة كتبتُها من أجلكَ، كل ما في الأمر، أنني أحببتك حق الحُب، فبادلتني أنتَ بالهجرانَ، ووحدها الكتابة من ساعدتني عليه، ووحدك أنتَ من أجبرني على



تعبئة السطور ووضع النقاط على الحروف وسرد قصص خيالية لا تَمُتُّ إلى الواقع بصلة أبداً، كغيابك الطويل مثلاً، أكتبُ عنهُ وكأنه لم يحصل بالفعل، أُحذفُ المشهد الذي أريد حذفه حين أكتب، وأجعلُكَ وكأنكَ كنتَ بجانبي طيلة هذه الأيام ولم نفترق، فدوركَ في المشهد ليسَ فرعيٌ بوجودك أو دونك يكتمل، بل دورُكَ كان بطلاً لا يغيب والمشاهد كُلها تحتاجُكَ لتكتمل، فلا أذكر فراقنا إلا عندما أتوقف عن الكتابة

وأنظر إلى الورق، أُقلِبُ الصفحة فأجدها مُهشمة من غيابك، كحياتي الآن من دونك.

لا أخفي حبي للكتابة وسرد القصص، وأذكر حين كنت في الثامنة من عمري أو التاسعة لستُ متأكدة، قمتُ بكتابة مسلسل الخوالي بعد مشاهدتهِ لمرة واحدة، كان يدور في عقلي دائماً ولسبب غير معلوم قررت كتابته لأتخلص من التفكير بهِ، مسكتُ القلم ورحتُ أعبئ سطور دفتري المدرسي كله، لم يرتفع رأسي عنه حتى وصلت الخاتمة، فوضعت النقطة وتوقفت.

عرفتُ حينها أنه من الممكن على المرء أن يذرف شعوره على الورق، وأن المرء يمكنه التخلّص من التفكير الزائد بشيء ما إن كتبهُ أو باح بهِ شفوياً لصاحبه، عرفت ذلك بعد أن افترقنا، أينكَ الآن

لو أنك أحببتني كما كنتُ، للكاتبة: غادة محمد ريحاوي

لأبوحَ لك بشعوري!؟ أتتركُني للدفاتر والورق، أُعبئُها من أجلك وأنتظر..! يا لكَ من غائب يليق بهِ الشوق والحنين والفُراق معا.

حين كتبت من أجلكَ في المرة الثانية شعرتُ وكأنني في أرض واسعة، ولدي الكثير لأحصُده، كان حُبك عظيماً وغالياً كأشجار الزيتون في فلسطين، وفراقكَ الذي حدث قد دفع بي بقوة نحو الكتابة، كحجر يرمى من يدِ طفل نحو جنود الاحتلال، فيقعُ على الأرض خائباً دون أن يُصيب أحداً فتدهسهُ دبّابة الفراق الذي لا رجعة فيه، كرمال وطني أصبحتُ رماداً أنا دونك.

اليوم أصبحتُ بكامل إرادتي أمسكُ القلم كمحراث أرض، وأفتح دفتري كل حينٍ وحين فيُخيل لي على أنهُ بستان مليء بالمحاصيل التي جُرفت، هنا زرعت أول مرة التقينا وعرفتُ بها اسمكَ، قد كبُرت وأنت لا تعلم وتساقطت أوراقها كما لقاءاتُنا، وفي الجهة المقابلة وضعتُ لمسة يديكَ التي سرقتُها ذات يوم..

"هذا الوجعُ بقاياكَ، سحرٌ تمدّدَ بينَ ضلعيَّ، وتوارى خلفَ سُلّم منزلكَ، تركَ لكَ رسالة كُل صباح، وسافر"

أكتب شيئاً من الماضي لا يُزرع ولا يُحصد، لأني زرعتُ نصوصاً عدة، وأغانٍ ليس لها نهاية، وحباً لو نزل على جبل، لرقَّ قلبه، ولكن كنتُ لا أحصدُ إلا الغياب. جعلتُ من حُبنا الذي لم يبدأ سَماداً للنصوص، ووضعتُ وجهك زينةً في أول السطور وأعظمُ عبرةٍ للخواتيم، وأصبحت الذاكرة المدعوة باسمك.. وحصاد الألم كله.

رغم كُرهي الشديد للنصوص التي أحاول كتابتها بعيداً عنكَ، إلا أن ذِكراك يأتيني خلسةً من هامش الصفحة، يستدرجُني رويدا رويداً ويُخرج من عقلي كُلَّ ما نويتُ سرده،

وأجد السطور بأنها تمتلئ بكَ، ناسية ما أردتُ قوله، وآملة بأننا معاً، ومتأملة بأننا سَنُصبح ذات يومٍ معاً، أو لعلنا الآن معاً مجتمعين في دفتري، في الصفحة الأخيرة، تُحبني بين قوسين، فأضعُ بعد حروف اسمك نقطة وأنتهي عندكَ. ولكن! إشارة تعجُب تقف بيننا الآن مما صار فينا حقيقة، ولا حتى شِبهُ جُملةً باستطاعتها اليوم أن تجمع اسمينا معا.

تماماً! لذلك عرفتُ اليوم كم أنه ضروريٌ جداً كان حدثُ غيابكِ الأخير، لأعود لدفتري مجدداً لأتمكن من سكب شعوري على الورق لأكتب عنكَ.. ولا يحصر التفكير في رأسي فقط، وكيف لي أن لا أكتب بعد الفراق!؟ أولستَ أعزَّ الراحلين!؟

أنتَ ساعدتني كثيراً وبطريقة خلابة على أن أُفرط بالتفكير نحوك، ولا أعتقد أن يداي كانت قادرة على الكتابة لو أنكَ هنا، ولا أظُنني أكتب، إن لم يكن ما أكتُبهُ عنك.

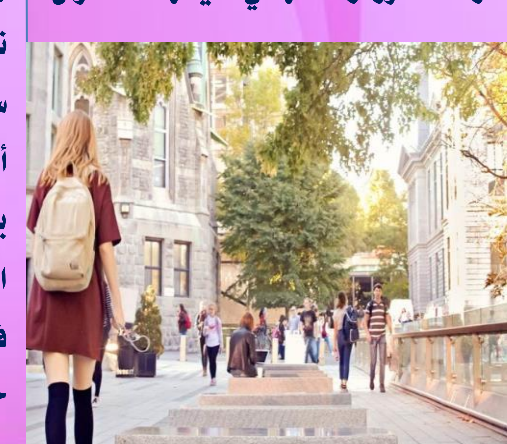
لا أعتقد أني في يوم ما أردتُ أن أُصبح كاتبة ناجحة، كان كل ما أتمناه أن أنجح في وصولي إليكَ وننهي هذا الغياب، وأن يتوقف عقلي عن الخيال بأنك لاتزالُ بجانبي، وبأني إن نزلتُ المدينة سألتقيك لا محالة. يجب أن يتوقف عقلي عن التفكير لأنكَ أصبحت بعيداً جداً عني يا قضيتي الأولى.

سأكتُب من أجلكَ فقط، سأُفرغ عقلي وحبر أقلامي كلها، وسطور دفاتري حتى حيطان منزلي، سأكتب اسمك عليها لعلني أصل إليكَ، لعلني أراك بين الورق أو بجانب نص قديم كتبتهُ وأنا أذرف الشّوق، لعلكَ في نهايتهِ تعانقني ونضع نقطة النهاية لهذا الألم، لكنكَ غائب عني كنجاحي الغير موجود، وقريبٌ إلي كفشلي بالحصول عليك.

النهاية

أوهام طالبة بقلم الكاتبة الجزائرية: مزياني حيزية

لم تكن الدنيا تسع فدوى ولا تسع مقدار الفرح الذي كانت تعيشه بعد حصولها على شهادة البكالوريا، فلطالما كان هذا حلمها الذي سعت واجتهدت لتحقيقه وكان لها ذلك... فدوى فتاة طيبة خلوقة اتصفت بالخجل الذي انعكس كثيراً على تصرفاتها وتجلى أيضاً في ملامح وجهها البريء والجميل، أحبت العلم والتعلم ولم ترسم طريقاً آخر لمستقبلها سوى طريق العلم. متحمسة جداً للعالم الجديد الذي ستلجه، ألا وهو الجامعة، التي كانت تسمع عنها فقط من قريباتها اللواتي سبقوها إليها، رسمت صورة رائعة لها في مخيلتها خاصة وأن



طموحها كان كبيراً في تحقيق النجاح والتميز في حياتها، وهي تدرك تمام الإدراك أن نقطة الانطلاق نحو مستقبل مشرق سيكون من الجامعة، لم تكن البريئة تعلم ماذا ينتظرها هناك.

...بعد أن قامت بالإجراءات الكلاسيكية المعروفة التي تسبق الدخول الجامعي من تسجيلات وغيرها وتأكدت من خلالها أنها الآن طالبة جامعية قررت الالتحاق بالجامعة...

لم تنم فدوى في تلك الليلة من جراء التفكير في الغد، شعور ممزوج بالقلق والفرح والخوف في آن واحد، وتضاربت العديد من الأسئلة في رأسها الذي كاد أن ينفجر من شدة التفكير.. ترى هل سأكون سعيدة؟ كيف هم زملائي؟ من سيرافقني في الغرفة التي سأقيم بها؟ من هم أساتذتي؟ العديد من الأسئلة الروتينية التي يمكن أن يطرحها أي طالب جامعي في مرحلتها الجامعية.

في صباح اليوم المشهود بعد أن قامت بترتيب حقيبتها التي جمعت فيها أغراضها المألوفة لدى جميع الطلبة، توجهت إلى المدينة الجامعية التي ستحتضنها لأول مرة، بدأت بالسكن الجامعي لوضع أغراضها والتخلص من حملها الثقيل الذي أتعبها طوال السفر، تدخل إلى الحرم الجامعي وتتسارع خطواتها منسجمة مع تسارع دقات قلبها إذ كاد أن يتوقف من جراء الخوف والارتباك، توجهت مباشرة إلى الغرفة التي منحت لها لتتقاسمها مع صديقتها بشيرة التي كانت لها نعم الأخت والصديقة تشاركتا أفراحهما وأحزانهما معاً، ... بعد تنظيم الغرفة وترتيبها استلقت فدوى لتستريح قليلاً من تعب يوم شاق لكن الوقت مر بسرعة ولم تنتبه إلا بعد أن أزعجها صوت أمعائها التي كانت تطالبها بالذهاب إلى المطعم لإخماده، وقفت هي وصديقتها بشيرة في الطابور ينتظران دورهما ليقدم لهما في الأخير طبق الحمص الذي من شدة صلابته لو رميته على الجدار يعود إليك مرة أخرى، ولكن ما في اليد حيلة، تناولتا الطبق بشراهة وكأنهما لم يأكلا الطعام منذ سنة كاملة وعادتا إلى غرفتهما.

...بعد ليلة متعبة وشاقة لم تتذوق فيها طعم النوم فهي لم تعتد المبيت خارج منزلها، كما أنها تعودت على صوت أمها كل صباح لإيقاظها.. نهضت فدوى مسرعة منهكة القوى وبخطى متثاقلة توجهت إلى الجامعة مع بشيرة الصديقة الرائعة وكان ذلك يوم الثلاثاء اليوم الأسود كما يحلو لها أن تسميه.. بعد أن تعرفت فدوى على برنامجها الدراسي توجهت إلى قاعة التدريس وجلست هي وصديقتها ينتظران قدوم الأستاذ على غرار باقي زملائهم في الصف، تأخر الأستاذ قليلاً، وجدت في هذا التأخير فرصة سانحة لها لتضع رأسها على الطاولة علها ترتاح من إزعاج أمعائها التي كانت تتمزق من شدة الألم بعد وجبة العشاء (الحمص) التي لم ترحمها ليلة البارحة..

أوهام طالبة بقلم الكاتبة الجزائرية: مزياني حيزية

بقيت فدوى على هذه الحالة وأوشكت أن تنام لولا الدخول المفاجئ للأستاذ لتوقظها صديقتها بطريقة مزعجة كادت أن تصرخ من الهلع انهضي.. انهضي.. لقد دخل الأستاذ، تثاقلت قليلاً في رفع رأسها من شدة الألم ثم رفعته ويا ليتها لم تفعل.. وإذا بها ترى ذلك الشاب الأسمر الوسيم يقف أمامها، تسأل في نفسها أهذا هو الأستاذ حقاً؟! تسال صديقتها بجانبها بكل تعجب.. نعم هو.. أغمضت عينيها مرة أخرى وفتحتها وتتساءل أهذا هو الأستاذ حقاً أم إنه أحد الممثلين.. لربما يكون بطلاً من أبطال المسلسلات التي كنت أتابعها



دائماً، لم تكن المسكينة تعي في تلك اللحظة ماذا يحدث لها ولا تسمع ما يقوله الأستاذ، لقد كانت سارحة بأفكارها التي تتلاطم في ذهنها كتلاطم أمواج البحر الهائج تتوه أحياناً في حركاته، وفي ملامح وجهه تارة أخرى التي بدت لها مألوفة منذ سنين.. لم تكن تدري أنها ستصاب بعدوى الحب اللعين..

مرت الدقائق وكأنها لحظات أو كأنها لقطات سريعة من أحد مسلسلاتها الرومانسية التي كانت مولعة بها، لكن هذه المرة الأمر يختلف لأنها هي التي تلعب أدوار هذا المسلسل..

انتهى الوقت وخرج الأستاذ واسترجعت فدوى أنفاسها.. ليتجدد اللقاء مرة أخرى في فناء الجامعة تقف جامدة كصخرة رست على الأرض ولم تتحرك منذ آلاف السنين، وبقيت تنظر إليه وكأنها لم تر رجلاً قبله أبداً. ربما يكون أستاذها قد بادلها النظرات..

يمكن أن تكون قد لفتت انتباهه لوقوفها جامدة مما جعلها تتوهم بأن أستاذها هو أيضاً مهتم بها....



... ربما يكون أستاذها قد بادلها النظرات يمكن أن تكون قد لفتت انتباهه لوقوفها جامدة مما جعلها تتوهم بأن أستاذها هو أيضاً مهتم بها....

ومنذ ذلك الحين أدركت أنها وقعت في شباك ذلك الأستاذ الشاب الوسيم الذي خطف قلبها وأنها عرفت ما يسمى بالحب من أول نظرة بعد أن كانت تسمع عنه وتسخر منه، لم تتوقع يوماً أنها ستعيش تفاصيله وأنها ستتذوق مرارته يوماً ما.

..إلا أن البنت الخجولة إضافة إلى خجلها كانت تتميز بالاتزان والرزانة ورجاحة عقلها مما جعلها قادرة على السيطرة عل مشاعرها ومقاومتها...

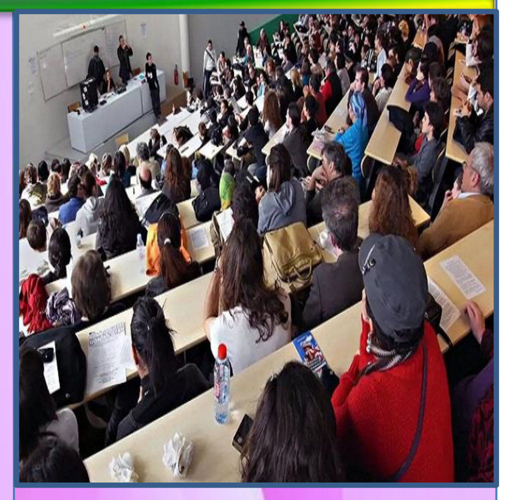
...عرفت فدوى مع مرور الوقت أن حبيبها اسمه فريد وكان فريداً من نوعه، الذي جمع بين القسوة والمكابرة والغرور وأيضاً بين الطيبة والشهامة؟ فكل المتناقضات جمعت في شخصه، دون أن تقترب منه فبالرغم من حبها الكبير له إلا أنها كانت تخافه أيضاً.

حاولت فدوى كبح تلك المشاعر مراراً لكنها لم تستطع السيطرة على أفكارها وراحت ترسم أحلاماً وردية وتسرح بخيالها لعالم شبيه بعالم المثل

الأفلاطوني مع فارس أحلامها، لكن الواقع كان عكس ذلك فقد كان مريراً.



أوهام طالبة بقلم الكاتبة الجزائرية: مزياني حيزية



وهكذا مرت السنة الدراسية وفدوى تصارع وكأنها في حلبة ملاكمة لتلك المشاعر لكنها خرجت منهزمة لتدخل في حوار ككل ليلة من ليالي الصيف الحارة كانت تفكر فدوى في أستاذها ككل الليالي الماضية التي لم تنقطع عن التفكير به ولو للحظة إلى أن خرجت

* * *

هامة بالنسبة لها ..لما لا أحاول؟ لربما كان الحب متبادلاً؟ لربما.. لربما.. وهكذا قررت أن تخطو خطوة للأمام وحصلت على حسابه الشخصي على الفيسبوك لتتصل به وتصارحه بمشاعرها لعلها ترتاح من التفكير وتكون وضعت حداً لأحزانها، وفعلاً فعلت هذا، وأرسلت له رسالة على السريع تسأل عن حاله.. وتعرف بنفسها..

كانت في تلك اللحظات تشعر وكأنها فراشة تحلق في السماء من شدة فرحها.. لما لا.. وهي تخط أول عبارات التواصل مع حبيب الغفلة وتعترف بحبها له علها تجد ما تبحث عنه.

إلا أن فدوش كما يحلو لصديقتها مناداتها به تتلقى أول خيبة في حياتها وأول صدمة شعرت وكأنها ارتطمت بدار عتيق مصنوع من الحجارة النارية القديمة فقد أشعلت كلمات أستاذها النار في قلبها خاصة وأن جوابه كان ضربة قاتلة لها، يرد بتجاهل تام.. من أنتِ؟ لا أتذكرك؟ للأسف لم أعرفك؟ متعمداً التجاهل، قطعت تلك الكلمات قلبها الصغير البريء العفوي وتركت جروحاً لا تداويه كلمات العالم كلها ...



رضخت فدوى لواقعها المرير وتقبلته كما هو وترعت مرارته وأدركت أن كل ما بنته كان حلماً عاشت تفاصيله في مخيلتها وانتهى، ووضعت نقطة النهاية لهذا الوهم..

بقيت على تواصل مع أستاذها أو أصبحت علاقتها به كعلاقة طالبة بأستاذها الذي أحبته بصدق ولم تخف حبها له يوماً واعترفت به له في العديد من المرات لكنه قوبل بالتجاهل التام...

بالرغم من قساوة الحب وألمه استطاعت فدوى مع مرور الزمن أن تتغلب على مشاعرها، ولم يكن ذلك الحب يوماً عقبة أمامها وأمام طموحها فقد كانت قوية لما يكفي وزادها إصراراً وقوة للمواصلة والكفاح، واعتبرت تلك التجربة درساً قاسياً وجعلت منه سلماً للنجاح، فانشغلت بدراستها لعلها تكون المخرج الوحيد لها.

بعد أن قطعت علاقتها مع أستاذها تخرجت من جامعتها وقد نالت شهادة الماستر..

وأرادت المزيد فخاضت غمار مسابقة الدكتوراه ونجحت فيها بتفوق...

وهي الآن طالبة دكتوراه وأستاذة بنفس الجامعة التي يعمل فيها أستاذها الذي تعتبره خطيئتها القديمة التي لن تتكرر..

